هوذا أعظم من أيوب ههنا

للقس اغسطينوس حنا

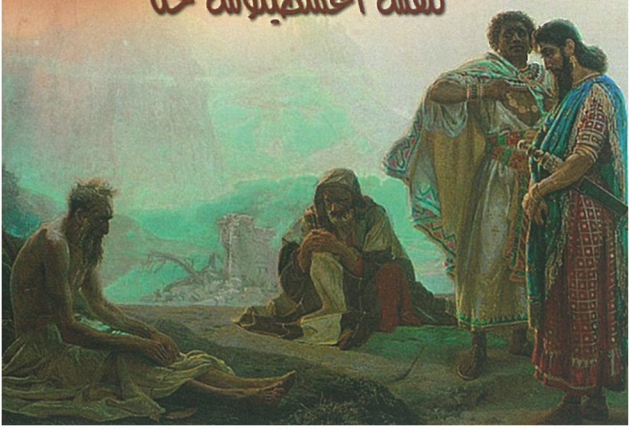

فى بعض المناسبات قارن الرب يسوع المسيح له المجد نفسه مع يونان وسليمان وقال: «هوذا أعظم من يونان ههنا»، «هوذا أعظم من سليمان ههنا» (مت١٢ : ٤١ ، ٤٢). وفى مناسبة أسبوع آلام مخلصنا الصالح، واليوم الذى سُمى بأربعاء أيوب (نظراً لأن الكنيسة كانت تقرأ فيه «ميمر أيوب» حسب ترتيب آباء الكنيسة بحكمة المقارنة بين آلام أيوب وصبره وآلام المسيح وصبره) لعله يكون من المفيد ان نوضح هذه المقارنة لنرى عظمة تفوّق المسيح فى آلامه وصبره على قمة الآلام البشرية والصبر الإنسانى. وعندئذ نستطيع القول بحق: «هوذا أعظم من أيوب ههنا» ...

أولاً - آلام أيوب

تمثلت آلام أيوب فى:

(١) **خسارة الثروة والمقتنيات والخدم** فبعد ان كان «أعظم كل بنى المشرق» وكانت ثروته الحيوانية مكونة من سبعة آلاف رأس من الغنم وثلاثة آلاف جمل وخمسمائة زوج بقر، وخمسمائة أتان، وخدمه كثيرين جداً (أى١ : ٣). إذاً به يفقد كل هذه الثروة الضخمة فى ثلاث كوارث متوالية فى يوم واحد (أى١ : ١٤-١٧).

(٢) **فقد أيوب جميع أولاده السبعة والبنات الثلاث** فى كارثة أُخرى إذ سقط عليهم البيت فماتو معاً. وكان ذلك فى نفس اليوم الذى ضاعت فيه ثروته (أى١ : ١٨ ، ١٩).

(٣) **خسارة الصحة** إذ ضربه الشيطان بقروح رديئة وأورام ودمامل مؤلمة فى جميع أجزاء جسمة «من باطن قدمه إلى هامته» (أى٢ : ٧ ، ٨) حتى كان يتعذب نهاراً وليلاً ولا يجد لحظة راحة !

(٤) **خسارة الكرامة والمركز** وتعرض لسخرية وإستهزاء أصحابه والكثيرين (أى١ : ٣٠ ، ٩ ، ١٠).

(٥) **تعيير أقرب الناس إليه وعدم تعزيته** حتى زوجته قالت له: «أنت متمسك بعد بكمالك؟ بارك الله ومُت»! (أى٢ : ٩).

(٦) **توبيخ أصحابه الذين أتو ليعزّوه فهاجموه وإتهموه إتهامات باطلة إستفزازية** عن سبب تجاربه

وبلاياه بإنها لابد أن تكون نتيجة لشروره الخفية وشرور أولاده !

وصف أيوب شخصياً لآلامه

١ - «ليته هلك اليوم الذى وُلدت فيه» (أى٣ : ٣).

٢ - «ليت كربى وزن ومصيبتى رُفعت فى الموزين جميعاً لأنها الآن أثقل من رمل البحر. لأن سهام القدير فىّ وحمتها شاربة روحى. أهوال الله مصطفّة ضدى» (أى٦ : ١-٤).

٣ - «ما هى قوّتى حتى أنتظر وما هى نهايتى حتى أُصَبّر نفسى؟ هل قوتى كالحجارة وهل لحمى نحاس؟».

٤ - «حق المحزون معروف من صاحبه وأن ترك خشية القدير. أما أخوتى فقد غدروا بى مثل الغدير».

٥ - «تُعيّن لى أشهر سوء وليالى شقاء قسمت لى. إذاً إضطجعت أقول متى، أقوم الليل يطول وأشبع قلقاً حتى الصبح» (أى٧ : ٣-٦).

٦ - «روحى تلفت. أيامى إنطفأت. إنما القبور لىّ .. (أى١٧).

٧ - أمعائى تغلىّ ولا تكُف. تقدمتنى أيام المذلة أسوددت لكن بلا شمس. قمت فى الجماعة أصرخ. صرت أخاً للذئاب وصاحباً لرنال النعام. صار عودى للنوح ومزمارى لصوت الباكين» (أى٣٠).

ثانياً - آلام المسيح

أ - آلام جسدية

(١) «لطموه» (٢) «لكموه» (٣) الجلدات الرهيبة ٣٩ جلدة

(٤)أكليل الشوك (٥) الضرب بالقصبة على رأسه فوق الشوك

(٦) نزع القميص الغارق فى دمه الملتصق بجسده الممزق

(٧) العطش المُحرق (٨) سقيه الخل وهو عطشان

(٩) نتف شعر لحيته «بذلت ظهرى للضاربين وخدّى للناتفين»

(١٠) ثقب اليدين والرجلين بمسامير الصليب الغليظة والمطارق الثقيلة (١١) المحاكمات الليلية الظالمة بدون راحة ولا نوم ساعة واحدة (١٢) الحبس ما بين المحاكمات والمشاورات أمام بيلاطس وهيرودس وقيافا وحنّان

ب - الآلام النفسية

١ - الجحود ونكران الجميل من الجماهير التى أحسن المسيح إليها ٢ - هرب الرسل الأثنى عشر والسبعين تلميذاً

٣ - خروج الشعب عليه بسيوف وعصى كلّص ٤ - شهادة الزور ضده ٥ - توزيع الرشوة للتآمر عليه ٦ - خيانة رجال الدين فى عصره وفسادهم وتحريضهم للشعب على رفض المسيا الذى طالما إنتظروه. ٧ - حزن وبكاء الأم العذراء تحت الصليب ٨ - إنكار بطرس له ٩ - خيانة يهوذا وإنتحاره

١٠ - البصق على وجهه ١١- الأستهزاء به ١٢ - التعيير والأستفزاز ١٣ - تحالف الرئاسات السياسية والدينية ضده (مز٢ ، أع٤) ١٤- إتهامه بالتجديف ١٥- تلفيق التهم السياسية الكاذبة بإنه نادى بألا تعطى الجزية لقيصر مع ان الجميع يحفظون له قوله «إعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»

١٦ - الظلم والقسوة ١٧ - عدم تقدير شعبه لتضحيته العظمى من أجله ١٨ - نسيان جميع معجزاته الالهية التى تجعل الحجارة تصرخ ١٩ - مقابلة حُبه وإحساناته بأبشع الأساءات وخاصته لم تقبله ٢٠ - إصرار الشعب على السير فى طريق الهلاك.

ج - آلام المسيح الكفارية

هذا النوع من الآلام أشد وأفظع من الآلام الجسدية والنفسية معاً ولم يختبره مخلوق ولا يعبّر عنه بلسان بشر. لأنه آلام الأله القدوس الذى لا يطيق الخطية وقد صار ذبيحة خطية حاملاً كل شرور ونجاسات البشرية من آدم إلى نهاية العالم كما حمل دينونة خطايانا وعقابها فى جسده على خشبة الصليب. أنه لم يصرخ من آلام الجلدات أو الصلب ولكنه صرخ فى هذه اللحظات التى وفى فيها العدل الالهي وكأنه إحتمل جهنم عنا !

د - أوصاف آلام المسيح

شُبهت فى الكتاب بـ (١) **بالذبح** «فصحنا المسيح قد ذُبح لأجلنا» (١كو٥ : ٧) (٢) **الضرب والجلد** «ضرب من أجل ذنب شعبى» (أش٥٣ : ٨). (٣)**الجرح** «مجروح من أجل معاصينا» (٤) **السحق** «مسحوق من أجل آثامنا» (أش٥٣ : ٨). (٥) **الأحتراق بالدينونة التى حملها عن البشرية** كخروف الفصح الذى يؤكل مشوياً بالنار (خر١٢ : ٨ ، ٩). (٦) **العصر** «دُست المعصرة وحدى» (معصرة غضب الله على العالم) (أش٦٣ : ٣). (٧) **إنكسار قلبه** بحمله عار خطايانا «العار كسر قلبى فمرضت» (مز٦٩ : ٢٠). (٨) **إنسكابه كالماء** وإنفصال كل عظامه ودوبان قلبه كالشمع فى داخله (مز٢٢ : ١٤).

ثالثاً - المقارنة بين صبر أيوب وصبر المسيح

أمتدح الرسول يعقوب صبر أيوب قائلاً «ها نحن نطوّب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب» (يع٥ : ١١). وقد ظهر صبر أيوب عظيماً فى أنه سجد للرب وقال «الرب أعطى الرب أخذ فليكن أسم الرب مباركاً» (أى١ : ٢٠-٢٢). كما ردّ أيوب بحكمة وحزم على زوجته عندما تزعزع إيمانها وعيّرته فقال لها : «تتكلمين كأحدى الجاهلات. الخير من عند الله نقبل والشر لا نقبل ؟».

وبالرغم من ذلك فقد كان صبر أيوب مشوباً بعيوب وأخطاء كثيرة ولا يُقاس بصبر المسيح الكامل كما يبين من المقارنة التالية :

١ - **فتح أيوب فمه وسبّ يومه** وتكلم فى إصحاح ٣ بالكامل يرثى نفسه ويتمنى لو لم يولد - أما السيد المسيح فلم يسبّ بل بالعكس قال «من أجل هذه الساعة قد أتيت إلى العالم»

٢ - **لم يحتمل أيوب سماع تعزية أصحابه ولا رأيهم ولا توبيخهم فأنفجر كالبركان يهاجمهم ويشتمهم ويوصفهم بالجهل والنفاق والتلفيق والكذب وأنهم أطباء بطالون ومعزون متعبون وكلامهم فارغ .. ألخ** (أى١٣ : ١٦) أما الرب يسوع فلم يكن له معزين أصلاً ولم يشتم الذين قاومه وأستهزأوا به. بل سامح وغفر لصالبيه وألتمس لهم الأعذار قائلاً: «أغفر لهم يا أبتاه

لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون».

٣ – أيوب دافع عن نفسه وغضب وأهان المستهزئين به قائلاً "أما الآن فقد ضحك عليّ أصاغرى الذين كنت لأستنكف من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمى !" (أى٣٠ : ١).

أما يسوع فلم يدافع عن نفسه «ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح». وأحتمل الأهانات المؤلمة والضرب والبصق والأستهزاء بصبر عجيب كامل.

٤ – أيوب فى دفاعه عن نفسه أفتخر ببره وكماله وأعماله وتحدّى من يستطيع أن ينسب له خطأ أو ذنب (أى٦ : ١٠ ، ٢٣ : ١٠ ، ٢٩ : ١١ ، ٣٢ : ١). لم يفتخر المسيح بشئ من أمجاده رغم أنه كان عنده مئات الأشياء أعظم من أيوب ليفتخر بها أن أراد.

٥ – هاجم أيوب الله نفسه هجوماً عنيفاً وأتهمه بالظلم والمحاباه والتلفيق وإتهامات لا تليق كقوله: «أحسن عندك أن تظلم وأن ترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار ؟! فى علمك أنى لست مذنباً .. فهمّنى لماذا تخاصمنى ؟ وتلفق علىّ فوق أثمىّ .. كف عنى ريثما أبلع ريقى» (أى١٠ : ٢-٩ ، ١٤ : ١٧) أمّا الرب يسوع فلم يتذمر أو يشكو أو يهاجم بل مجّد الله الأب ونفّذ مشيئته وقال له : «ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» وقال أيضاً: «الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها ؟».

لقد كان كاملاً فى صبره حتى يقول بولس: **"ليهدى الرب قلوبكم إلى صبر المسيح"، كما وصف المسيح بأنه آله الصبر والتعزية"** (٢تس٣ : ٥).

فيالينا إذ نصنع ذكرى آلامه المقدسة «ونعرفه وشركة آلامه» معرفة أعمق ونتعلم منه فضيلة الصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا .. نصبر إلى المنتهى لنخلص .. ونصبر معه لنتمجد معه.

St. John Coptic Orthodox Church
Covina, California
Tel. (909) 592-8847 (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org